

من أهل الكتاب، وعرضت لعقوبة الاعتداء على الأمن العام الذي تقوم به عصابات الشر والفساد، كما عرضت لعقوبة السرقة، وقصت بعنص التشريعات التي كانت في كتب السابقين، وأشارت إلى المبدأ الطبيعي الذي يقضي باختلاف الشرائع نظراً إلى اختلاف الأجيال والعقليات، وحذرت العدول عن الحكم بما أنزل الله، واتباع أهواء المضلين.

ولم يفتها في أثناء ذلك كله أن تشد أزر النبي صلى الله عليه وسلم فيما يختص بموقفه من أهل الكتاب، وعصمة الله إياه من الناس وتوجه إليه في ذلك الخطاب مرتين بصفة الرسالة، منبع العصمة والتأييد: ((يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)). ((يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس)). ثم تذكر الجميع بيوم الجمع الذي تحدّد فيه المسئوليات، وتذكر أهل الكتاب بوجه خاص بشأن يجري فيه بين عيسى وربه فيما يختص بعقيدة النصراني فيه: ((وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله؟)) الآيات. ثم تحتم بهذه الآية الكريمة التي ترد الأمر كله، ملكاً وتديراً وتصريفاً: ((الله ملك السموات والأرض ومن فيهن وهو على كل شيء قدير)).

* * *

رجع إلى بيان المنهج:

أما بعد، فهذا عرض وجيز، نستحضر به أصول ما تضمنته السور الأربع المدنية التي سبقت سورة الأنعام في الترتيب المصحف، ومنه يتضح أنها اشتركت في هدف واحد، هو تنظيم شئون المسلمين بالتشريع لهم باعتبارهم أمة مستقلة لها كيان خاص، وسبيل في الحياة خاص، وإرشادهم إلى مناقشة أهل جوارهم فيما يتصل بالعقيدة والأحكام، ومعاملتهم فيما يختص بالسلم والحرب، وقد جاءت بعد هذه السور الأربع المدنية سورتان مكيّتان، هما أطول المكي في القرآن، وهما: الأنعام والأعراف. والذي يهمنا الآن بيان منهج سورة الأنعام